توثيق التراث الأنثروبولوجي والتواصل مع التجربة الفولكلورية

أ.د. مصطفى جاد - المعهد العالي للفنون الشعبية -أكاديمية الفنون- مصر

الملخص :

ولسنا في حاجة إلى الإشارة إلى أن توثيق التراث الأنثروبولوجي العربي سوف يسهم في الدفع بحركة البحث العلمي في المجالين (الفولكلور والأنثروبولوجيا)، خاصة في إطار التعريف بين الجهود العربية التي لا زالت تعمل في جزر منعزلة، شأنها شأن الجهود الفولكلورية التي لا زالت في حالة تحتاج للم الشمل. وهي مسألة تستدعي التعاون الوثيق بين العلماء العرب في المجالين، بصرف النظر عن أدوات ومنهج كل منهما.

Abstract :

Documentation of the Arab anthropological heritage will contribute to the advancement of scientific research in both fields (folklore and anthropology), especially in the context of the definition of Arab efforts that are still operating in isolated islands, as are the folkloric efforts that are still in need of reunification. This requires close cooperation between Arab scientists in both fields, regardless of their respective tools and approaches.

مقدمة:

ظلت العلاقة بين الأنثروبولوجيا وعلم الفولكلور-ولا زالت- في حالة تماس وتداخل من ناحية وتبادل الخبرات بين المتخصصين في المجالين من ناحية أخرى. وقد انعكس ذلك في أدبيات الأنثروبولوجيا والفولكلور، إذ رأى فريق من العلماء أن الفولكلور هو أحد فروع الأنثروبولوجيا وبالأخص الأنثروبولوجيا الثقافية، على حين اهتم علماء الفولكلور بالتأكيد على أن علم الفولكلور هو علم مستقل بذاته له مناهجه وأدواته ونظرياته المرتبطة به. وعلى المستوى الدولي سجل تصنيف ديوي العشري العالمي كل من الأنثروبولوجيا والفولكلور تحت قسم "العلوم الاجتماعية "الذي يحتل رقم 300، ثم سجل "الأنثروبولوجيا" كموضوع فرعي ضمن علم الاجتماع تحت رقم 301، أما الفولكلور فقد سجله ديوي في موضوع مستقل

آخر تحت رقم 390، وهو ما يشير إلى أن لكل من التخصصين مجاله المستقل في المكتبة العالمية وهو ما يتفق مع تصورنا في هذه المسألة.

غير أن أهم ما يربط بين العلمين في تقديرنا- مع إيماننا بتواصل وتكامل العلوم- هو العمل الميداني، فكل من الفولكلوريين والأنثروبولوجيين يستقون مادتهم العلمية من الميدان، ويعكفون على تحليلها وتفسيرها، كل بمنهجه وأدواته. إلا أن الفولكلوريين قد تفوقوا في عمليات التصنيف واستخدام أدلة الجمع الميداني وتطبيقها بشكل احترافي..

وإذا كنا متفقين على تكامل العلمين فلسنا في حاجة إلى التفصيل في المقارنة بينهما، لكننا في حاجة إلى بحث مسألة توثيق التراث الأنثروبولوجي وإتاحته، على نحو ما تم من جهود في توثيق المادة الفولكلورية. وقد تمت بعض الجهود الخاصة ببليوجرافيات الأنثروبولوجيا العربية وإتاحتها في شكل مطبوع، غير أننا في حاجة لأرشيف متخصص في الأنثروبولوجيا، وفي حاجة لقاعدة بيانات ومكنز أنثروبولوجي يعرض لموضوعات العلم المتعددة: الأنثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية والطبية والبيولوجية والسياسية..إلخ، كما يعرض لأدبيات العلم وأعلامه والمادة الميدانية والنظرية التي تمت، فضلاً عن المواد المصورة (الفوتوغرافية والفيديو) التي جمعها الباحثون على مدى العقود السابقة. أما المادة الأنثروبولوجية المتوفرة في كتابات الرواد العرب ككتب الرحالة والمؤرخين وعلماء اللغة والفلسفة والجغرافيا والاجتماع وغيرهم، فهي مادة ضخمة ووفيرة ويتنازع كل من الفولكلوريين والأنثرولوجيين لانتسابها إليهم.

ولسنا في حاجة إلى الإشارة إلى أن توثيق التراث الأنثروبولوجي العربي سوف يسهم في الدفع بحركة البحث العلمي في المجالين (الفولكلور والأنثروبولوجيا)، خاصة في إطار التعريف بين الجهود العربية التي لا زالت تعمل في جزر منعزلة، شأنها شأن الجهود الفولكلورية التي لا زالت في حالة تحتاج للم الشمل. وهي مسألة تستدعي التعاون الوثيق بين العلماء العرب في المجالين، بصرف النظر عن أدوات ومنهج كل منهما.

وسنعرض في هذا الإطار تصورنا العلمي لمسألة التوثيق مشيرين إلى الجهود التي تمت في هذا المجال، وما نحتاج إليه في المرحلة المقبلة بعيدًا عن الصراع الأنثروبولوجي/الفولكلوري الذي احتل جانبًا كبيرًا من المناقشات.

التوثيق الببليوجرافي للأنثروبولوجيا العربية

لعل ابرز الجهود التي تمت في إطار توثيق الأنثروبولوجيا العربية هو هذا العمل المهم الذي صدر عن مركز البحوث والدراسات الاجتماعية بجامعة القاهرة، والذي لم ينل حظًا من الانتشار العربي، وهو الببليوجرافيا التي صدرت في جزءين، وكان لنا شرف الاشتراك في فريق البحث الذي عمل بها تحت عنوان "الإنتاج العربى فى علم الاجتماع: قائمة ببليوجرافية مشروحة" وقد غطت الببليوجرافية الإنتاج الفكري من عام 1924 حتى عام 2000. وقد سبقتها ببليوجرافية مشروحة صدرت في سبع مجلدات عام 1997 وغطت الإنتاج الفكري حتى عام 1995. وقد أشرف على جميع هذه الإصدارات كل من محمد الجوهري وأحمد زايد. وقد كان للفولكور والأنثروبولوجيا بجميع فروعها النصيب الأوفر بهذه الببليوجرافيات، التي غطت أكثر من خمسة آلاف عمل عربي. وقد شهد ميدان دراسة الفولكلور العربى قائمة مماثلة، نشرت تجارياً فى عام 1978. وقد عمل مركز البحوث والدراسات الاجتماعية بكلية الآداب جامعة القاهرة على تطوير هذه الببليوجرافية، وتوجت جهوده بإصدار أضخم ببليوجرافية عربية نوعية بعنوان: الإنتاج الفكرى العربى فى الفولكلور، اشتملت على أكثر من سبعة آلاف عمل واستوعبت حركة العلم من عام 1940 حتى عام 2000. كما صدرت ثلاث مجلدات احتوت على ألف عمل مشروح تحت عنوان "الفولكلور العربي: بحوث ودراسات" وهى من إعداد محمد الجوهري وإبراهيم عبد الحافظ، ومصطفى جاد[1].

ونعود للإنتاج الفكري العربي في علم الإجتماع لنجد أن هذه الببليوجرافية قد غطت الإنتاج الفكري للعلم المنشور باللغة العربية، والمترجم للغة العربية، كما اشتمل التحديد النوعي ما نشر في أوعية الكتب- الدوريات العلمية- الأطروحات الجامعية- أعمال المؤتمرات والندوات العلمية- التقارير العلمية. أما فروع الأنثروبولوجيا التي غطتها الببليوجرافية فهي:

الأنثروبولوجيا الاجتماعية (وتشمل كذلك كل ما يختص بالبناء الاجتماعى، ومكوناته، ونظمه من وجهة نظر أنثروبولوجية. كما تضم مجالات الأنثروبولوجيا الاقتصادية، والسياسية...الخ)- الأنثروبولوجيا الثقافية (وتشمل كذلك موضوعات: الثقافة، والثقافة والشخصية، والتغير الثقافى، والأنثروبولوجيا الطبية.. إلخ)- الأنثروبولوجيا العامة، فضلاً عن علم الفولكور.

وقد أشار محمد الجوهري في مقدمته لهذه الببليوجرافية إلى أهمية إخراج ببليوجرافية للإنتاج السوسيولوجى المنشور بلغات أجنبية لمؤلفين عرب. إن هذا الإنتاج إن لم يفق الإنتاج المكتوب بلغة عربية فى مستواه العلمى وفى أهميته، فهو يدانيه على الأقل . ذلك أن خبرة بعضنا ممن نشر بلغات أجنبية تشير إلى مدى الاهتمام الذى نوليه للعمل المنشور فى الخارج، أو الذى يفترض فيه أن يقرأ بالخارج. ثم أن القاعدة بالنسبة لمثل هذه النوعية من الإنتاج أنه يخضع لتحكيم علمي، قد يكون صارمًا فى أغلب الأحيان. معنى ذلك أن القيمة العلمية الكامنة فى مثل هذا الإنتاج تجعله جديرًا بالجمع والتسجيل والتلخيص والنشر. وفى رأيى أن يقتصر الكلام الأجنبى على البيانات الأساسية، ويصدر لها ترجمة عربية، وينشر الملخص باللغة العربية، لأن الهدف هو إطلاع من لا يجد هذه الأعمال فى مظانها، أو يجدها ولكنه لا يستطيع أن يفيد منها بسبب عائق اللغة، أو لأى سبب آخر[2].

وتجدر الإشارة إلى أننا في النهاية أمام إنتاج عربي أنثروبولوجي ضئيل للغاية إذا ما قورن بالإنتاج المنشور بلغات غير عربية، فعلى سبيل المثال فإن الببليوجرافيا العربية لم تتجاوز حجمها بضعة آلاف، على حين إذا استعرضنا إحدى النماذج الغربية كالببليوجرافيا الدولية للعلوم الاجتماعية The International Bibliography of the Social Sciences) وهي ببليوجرافية إلكترونية في العلوم الاجتماعية تعدها المكتبة البريطانية للعلوم السياسية والاقتصادية والتابعة لكلية لندن للاقتصاد، سنجد أنها تركز بشكل خاص على أربعة حقول في العلوم الاجتماعية وهي علم الإنسان (الأنثروبولوجيا) والاقتصاد والسياسة وعلم الاجتماع, وتغطي حقولاً معرفية أخرى كذلك كالدراسات التنموية والجغرافيا البشرية والدراسات البيئية والجندرية. وتشتمل على ما يقارب 2,5 مليون مرجع للمقالات،

والكتب والمراجعات النقدية والفصول المختارة وتنمو هذه الببليوجرافيا بمعدل 100,000 مادة سنوياً, وهي تغطي في مراجعها نسبة 25% من المواد من لغات أخرى غير الإنجليزية. ويتم تحديث الببليوجرافيا أسبوعيًا ويمكن للمستخدمين أن يحصلوا على تنبيهات تصلهم على البريد الإلكتروني لمعرفة آخر المستجدات التي جرت على الببليوجرافيا والمواد الجديدة التي تمت إضافتها. وهناك العديد من الكتيبات الإرشادية المتوفرة على الموقع الإلكتروني الخاص بالببليوجرافيا الدولية لمساعدة المستخدمي [3].

ولعل هذا النموذج يجعلنا نعيد النظر في أمرين مهمين، الأول هو استئناف الجهود المبذولة من أجل التوثيق الببليوجرافي لتراثنا الأنثروبولوجي، والثاني هو وضع الببليوجرافية العربية على مواقع متخصصة يفيد منها الباحثون العرب، ويضيفون إليها ويعدلون فيها. كما أننا يجب أن نضع في الاعتبار أن ما تم توثيقه سواء على المستويين العربي أو الدولي يهتم دومًا بالأنثروبولوجيا في إطار علم الاجتماع، ولم يهتم بالأنثروبولوجيا منفردة بتخصصاتها المختلفة والعلمية المعروفة. وهو ما نلفت إليه الانتباه في هذه الدراسة، إذ أن حركة البحث الأنثروبولوجي العربي جديرة بأن نوفر لها الوقت والمال لإعداد ببيلوجرافية متخصصة في الأنثروبولوجيا.

توثيق المؤسسات الأنثروبولوجية العربية

لاشك أن هناك عزلة عربية بين المؤسسات المهتمة بالأنثروبولوجيا العربية، ولم نسمع عن عمل عربي مشترك بين هذه المؤسسات رغم أهميتها وإنتاجها العلمي، كما لم يثبت لدينا مواقع عربية تربط بين هذه المؤسسات للتعريف بجهودها وجهود علمائها. وهو ما انعكس على انعزال الإنتاج الفكري بين الثقافات العربية في الخليج والشام ووادي النيل والمغرب العربي. كما أن هناك بعض المراكز والجمعيات الأهلية التي تنشأ في قطر أو آخر في المنطقة العربية، دون أن نعلم بها، وسنذكر هنا عدة نماذج عربية من هذه المؤسسات التي لا نجد أية علاقة بينها أو رابطة تضمها رغم الاتفاق في الهدف وهو البحث الأنثروبولوجي العربي:

- المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية- 1955- القاهرة

- المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ -1955- الجزائر
- المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية – 1992- الجزائر
- جمعية الأنثروبولوجيين الأردنيين-1998- الأردن
- المركز الدولي لعلوم الإنسان في جبيل- 1999- لبنان
- مركز الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية- 2002 - المغرب
- مركز فاعلون للبحث في الأنثروبولوجيا- 2012- الجزائر

ولعل أهم البيانات التي يمكننا إدراجها لهذه المؤسسات هي البيانات التي تكشف عن هوية المؤسسة وتاريخها وأهدافها: اسم المؤسسة- تاريخ التأسيس- البلد- الجهة التابعة لها- الهدف من التأسيس- النشاط الحالي- بيانات الاتصال(العنوان- الإيميل- الموقع الألكتروني- التليفون..إلخ)- الباحثون- المؤتمرات العلمية، فضلاً عن فقرة تصف المؤسسة ودورها بشكل عام، والدراسات التي صدرت عنها، والأعمال الميدانية..إلخ.

هذه البيانات يمكن أن تكون نواة للتواصل المبدئي بين المؤسسات المهتمة بالأنثروبولوجيا في الوطن العربي، ويتأسس عليها مشاريع علمية مشتركة يمكن أن تنهض بحركة العلم، خاصة مع اختلاف المدارس البحثية في المجال. فالمدرسة المصرية في الأنثروبولوجيا لا شك لها أدواتها ومناهجها وبحوثها الميدانية التي تختلف عن المدرسة المغاربية المتأثرة بالمدرسة الفرنسية بشكل عام.

توثيق أعلام الأنثروبولوجيا العرب

لعل توثيق أعلام الأنثروبولوجيا العرب مسألة تحتاج أيضًا لجهد وتبادل معرفة بينهم، إذ أن معظمهم- خاصة الأنثروبولوجيين الشباب- لا توجد بيانات محدثة تربط بينهم والأجيال السابقة عليهم. وهناك بعض المواقع التي توثق لأعلام الأساتذة بالجامعات العربية، غير أن هذه المحاولات لم تجد من يتابعها بدقة ويضيف إليها ويحدثها. فضلاً عن عدم وجود موقع

متخصص للأنثروبولوجيين العرب يعرض لأفكارهم وإنتاجهم العلمي. ومن المحاولات العامة في هذا الإطار موقع أريد ARID وتعني بالأنجليزية Arab Research ID يهدف لتجمع كل الباحثين العرب ويقدم مجموعة من الخيارات تتيح لأساتذة الجامعات والباحثين الناطقين باللغة العربية عرض سيرتهم المهنية والأكاديمية بطريقة مدروسة، وتنظم عملية البحث عن أسمائهم في جميع محركات البحث عبر رقم تعريف يحصل عليه فور تسجيله في الموقع[4].

وما نسعى لتحقيقه في هذا الإطار هو إنشاء بوابة ألكترونية تجمع الأنثروبولوجيين العرب في موقع موحد، يتم فيه تبادل الخبرات بسهولة.. فضلاً عن تبادل المادة العلمية فيما بينهم وهو أمر غاية في الأهمية في البحث الأنثروبولوجي الذي يفرض على الباحثين جمع وتحليل مادتهم العلمية من مجتمعات بعيدة عن المجتمع الذي يدرس فيه الباحث، ومن ثم فإن إنشاء موقع متخصص لتبادل المادة العلمية أمر حتمي في المرحلة الراهنة للتعرف على الاتجاهات العلمية المختلفة.

مكنز الأنثروبولوجيا العربي

حققت تجربة المكانز في العالم طفرة في توثيق العلوم بمختلف فروعها، وقد توفرت التجربة العربية على إعداد مجموعة متميزة من المكانز ساهمت جميعها في توثيق هذه العلوم، خاصة العلوم الإجتماعية، وهي:

1) المكنز الشامل للمصطلحات فى مجالات التنمية الاقتصادية والاجتماعية : النسخة العربية - القاهرة : مركز التنمية الصناعية للدول العربية ، 1979 (تعريب لمكنز Macrothesaurus الصادر عن منظمة التعاون الاقتصادى والتنمية التابعة للأمم المتحدة)

2) مكنز مصطلحات علم المكتبات والمعلومات/محمد فتحى عبد الهادى- القاهرة: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم؛ إدارة التوثيق والمعلومات، 1980.

3) مكنز الجامعة: مكنز ثلاثى اللغات: العربية، الإنجليزية، الفرنسية/جامعة الدول

العربية . الأمانة العامة . مركز التوثيق والمعلومات . – ط1 (العربية) .- تونس: المركز ، 1987 .- 2مج . - تم تعريبه عن مكنز UNBIS (United Nation Bibliographic System)

4) المكنز العربى للطفولة ثلاثى اللغة : عربى - انجليزى - فرنسى. - القاهرة المجلس العربى للطفولة والتنمية ، 1992

5) مكنز الفيصل : مكنز عربى شامل فى علوم الحضارة : قسم علوم الدين الإسلامى. - الرياض : مركز فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 1994

6) مكنز التربية والثقافة والعلوم(صدرت طبعته الأولى فى عام 1977 وفى عام 1995 صدرت طبعته الثانية)

7) المكنز الموسع/جمع وتحرير محمود أتيم. – عمان: مؤسسة عبد الحميد شومان؛ دبى: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث 1996 . – 3مج . - (ثلاثي اللغة : عربى، إنجليزى ، فرنسي .- (صدرت النسخة الإلكترونية على قرص مدمج عام 2001)

8) مكنز أليكسو : مكنز عربي ثلاثي اللغة . - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ALECSO، 2002 . – (ثلاثي اللغة : عربى، إنجليزى، فرنسي، وعُرّب عن مكنز اليونسكو Unesco Thesaurus)

9) مكنز الفولكلور/مصطفى جاد.- القاهرة: المكتبة الأكاديمية، مكتبة الأسكندرية، 2006-2007.- 2مج.

ومصطلح (مكنز) هو "المقابل العربى للمصطلح الأجنبى ذى الأصل اليونانى Thesauros اللاتينى Thesaurus الذى يعنى المستودع أو الكنز. ويرد معجم أكسفورد الموجز Shorter Oxford English Dictionary استعمال هذا المصطلح بمعنى "كنز أو مستودع المعرفة، كما هو الحال بالنسبة للمعجم أو الموسوعة أو ما شابهها" إلى عام 1736. وهذا هو أقدم تاريخ معروف لاستعمال المصطلح بمعنى قريب من معناه فى مجال استرجاع المعلومات. ويذهب معجم وبستر Webster الأمريكى إلى أن المكنز "كتاب

يشتمل على الكلمات أو المعلومات المتصلة بمجال بعينه أو مجموعة من المفاهيم أو المعانى، وهو معجم للمترادفات على وجه الخصوص". فالمكنز إذن هو الكنز اللغوى الثرى بمفرداته، إلا أن هذه المفردات ينتظمها ترتيب يختلف عن ترتيب المعاجم اللغوية الأخرى أو معاجم المفردات على وجه الخصوص[5]". وقد ترجمت كلمة Thesaurus الإنجليزية إلى العربية بعدة أشكال منها: قائمة مصطلحات (1970)، قائمة أبجدية للألفاظ (1972)، مكنز (1975)، كما عربت الكلمة بـ الثيسورس (1982). ولعل أكثر التعريفات تداولاً وشهرة بين المتخصصين في علم المعلومات لمفهوم المكنز Thesaurus هو التعريف الذي اعتمدته المنظمة الدولية للتوحيد القياسى International Standardization Organization والذي يشير إلى أن "المكنز من حيث الوظيفة هو وسيلة ضبط للمصطلحات، وتُستخدم للترجمة من اللغة الطبيعية للوثائق من قبل المكشفين أو المستفيدين إلى "لغة نظام" أكثر تقييداً (لغة توثيق، لغة معلومات). والمكنز من حيث البناء هو لغة مضبوطة وديناميكية تتكون من المصطلحات المتصلة ببعضها البعض دلالياً وهرمياً وتغطى أحد حقول المعرفة[6]"

المكنز إذن هو أداة المكشف، وهو أيضاً أداة الباحث، وكلاهما مستفيد منه. "فالمكشف يعتمد عليه في الحصول على الواصفات المناسبة التى يستخدمها في وصف محتويات الوثائق، و يعتمد الباحث عليه أيضاً في الحصول على الواصفات المناسبة التى يستخدمها في وصف حاجاته، وهي تلك التى تتفق مع واصفات النظام . ومن ثم فالمكنز حلقة الوصل بين المكشف والباحث، وهو أيضاً اللغة المشتركة بينهما[7]". ويضيف محمد فتحى عبد الهادى تعريفاً شاملاً لمفهوم المكنز: "المكنز هو قائمة بالواصفات وعلاقاتها التكافؤية والهرمية والترابطية، ويكون ترتيب وعرض الواصفات وعلاقاتها بما يخدم بكفاية وفاعلية في تحليل محتوى أوعية المعلومات واسترجاعها[8]" .

وبالنظر إلى الجهد العربي في المكانز سنجد اهتمامًا واضحًا بتوثيق العلوم الاجتماعية خاصة ومن بينها الأنثروبولوجيا، وهي فرصة أمام الباحثين في المجال لإعداد مكنز متخصص في الأنثروبولوجيا العربية يقوم على تصنيف هرمي لفروع الأنثروبولوجيا، يحمل كل منها رقمًا دال عليه، وعند وضع المكنز على قاعدة البيانات نبدأ في وضع التراث الأنثروبولوجي

الموجود بالمكتبات ومراكز الأبحاث فضلاً عن المجموعات الخاصة والمصورة وغيرها.. نضع كل عنصر في مكانه من المكنز ليسهل إتاحته واسترجاعه وتداوله وتبادل الاستفادة منه. أما القسم الثاني من المكنز فهو القسم الهجائي الذي يتيح التعرف على العنصر الأنثروبولوجي في ترتيبه الهجائي ليتمكن الباحث من توثيق مادته في مكانها الصحيح دون الحاجة إلى معرفة تصنيفه الموضوعي.

الأنثروبولوجيا البصرية مدخل لتوثيق الوسائط المتعددة

تحتوي الأنثروبولوجيا على مناهج حديثة تسهم في توثيق العلم بمناهج تكنولوجيا المعلومات القائمة على الوسائط المتعددة، ولعل "الأنثروبولوجيا البصرية" واحدة من هذه المناهج التي ظهرت في نهاية التسعينيات من العقد الماضي، وتنطوي على أفكار مهمة في الجمع الميداني ومن ثم توثيق المادة الميدانية. وتعد الأنثروبولوجيا البصرية من ميادين العلم الحديثة نسبيًا، وقد رصد شارلوت سيمور سميث فى الطبعة الثانية من قاموس "علم الإنسان" تعريفًا موجزًا لها مشيرًا إلى أن ميدان الأنثروبولوجيا البصرية "يتضمن بعض جوانب دراسة الأبعاد البصرية للسلوك الإنسانى، وكذلك تطوير الوسائل البصرية التى تزداد دقة وتعقيدًا من أجل توظيفها فى البحث الأنثروبولوجى، وتعليم الأنثروبولوجيا، والتبادل الثقافى. فهذا الميدان يربط عدة ميادين ببعضها مثل أنثروبولوجيا الفن، واستخدام التصوير الفوتوغرافى، والفيلم الإثنوجرافى التسجيلي فى الأنثروبولوجيا. وكذلك ميدان أنثروبولوجيا الفراغ أى دراسة الاستخدام الثقافى الاجتماعى للفراغ. ودراسة الإدراك والرمزية البصرية من منظور مقارن. وقد بدأ الأنثروبولوجيون حديثاً فقط فى تمحيص المفاهيم البصرية والتصور البصرى بكل دقة سواء داخل الثقافات المختلفة التى يقومون بدراستها، أو على مستوى نقد وتدقيق أدوات البحث. من هذا قيام بعض العلماء بفحص استخدام الصور الفوتوغرافية والفيلم الإثنوجرافى كأدوات بحثية من ناحية وكأدوات تعليمية من ناحية أخرى. واتجه مزيد من الاهتمام إلى اختبار ما إذا كانت تلك الوسائل تنقل رسائل ضمنية بشأن الموضوع الذى تصوره. كما تساءل العلماء عما إذا كنا- دون أن نعى-

ومن خلال فرض أسلوبنا فى الترتيب البصرى والتتابعى نعمل فى النهاية على تشويه مفاهيم الثقافة التى نحاول أن نقدمها للآخرين[9]"

وهذا التعريف يؤكد أهمية وخطورة التعامل مع المعلومة المصورة من الميدان كأداة بحثية. ومن ثم فنحن فى حاجة إلى منهج لرصد العناصر الأنثروبولوجية- كما هو الحال بالنسبة للعناصر الفولكلورية- الموجودة بالصورة وتوثيقها بالشكل الذى يقربها من الثقافة التى تعبر عنها دون خلل. "ويظهر الاطلاع على التراث النظرى للأنثروبولوجيا أن بدء استخدام التصوير الفوتوغرافى كأداة ميدانية قد استند إلى أن الصور الفوتوغرافية يمكن أن تحل محل أو تكمل التدوين الكتابى الذى يهدف إلى وصف ما ندرسه، حيث تذهب بعض الأراء إلى أن الكتابات قد تتسم بمنحى أدبي يحد عن الموضوعية فى الوصف. كما رأت مارجريت ميد أن التغيرات التكنولوجية التى أدت إلى اختراع الكاميرا قد ساعدت الأنثروبولوجى على الاعتماد على أدوات تجعله يسجل ما هو موجود فى الواقع الذى يدرسه دون الاعتماد على الذاكرة فحسب؛ ومن ثم فقد اعتبرت الصورة الفوتوغرافية مصدراً موثقًا له وزنه فى جمع المعلومات والبيانات الأولية[10]".

ومن هذا السياق نجد أن الحديث عن الصور مرتبط بكونها تساعد على فهم النص المكتوب، كما أن الأخير هو الركيزة الأساسية فى التعريف بالصورة. كما أن الفيلم التسجيلي يعد من الأدوات الأساسية في البحث الأنثروبولوجي الحديث ومن ثم توثيق المادة الميدانية.. ومن هنا نجد أن اهتمام الأنثروبولوجيا بوسائط الصورة والفيلم والنص المدون والصوت يمكن أن ييسر عمليات التوثيق التي تقوم على نفس المفاهيم، ولعل إعداد قاعدة بيانات قائمة على هذه الوسائط هو أمر ضروري وحتمي للمادة الأنثروبولوجية.

متاحف الأنثروبولوجيا- الإثنوغرافيا- الفولكلور

يحتوي التراث المتحفي على آلاف المواد التي يتنازعها مسميات متداخلة قد تتلاقى في أحيان كثيرة وتختلف في حالات قليلة جدًا، فالمتتبع للمتاحف الأنثروبولوجية والإثنوجرافية والفولكلورية في العالم سيجد أن محتوياتها وطرق عرضها وتوثيقها واحدة تقريبًا، وجميعها تحوي المقتنيات المرتبطة بدورة الحياة والحرف التقليدية والأزياء والحلي وفنون الرقص

والطعام وأدوات المنزل..إلخ، كما تشمل أيضًا المتاحف التي تحمل اسم "التراث"، وجميعها تفيد الباحث في المجالات الثلاث (الأنثروبولوجيا- الإثنولوجيا- الفولكلور)، ونتصور أنها جميعًا لم تلق الاهتمام المنتظر في التوثيق والعلاقات بينها على المستويين الوطني والعربي.

فلا يوجد مثلاً أية علاقات علمية بين متحف الإثنوغرافيا السوداني، والمتحف الإثنوغرافي بالقاهرة رغم احتواء الأخير على مقتنيات سودانية، كما لا يوجد رابط بينهما والمتحف الإثنوغرافي بتطوان (المغرب) رغم قدمه حيث أنشئ عام 1928 بعد المتحف المصري، كما أن ثلاثتهم غير متصل بمتحف التراث الأردني التابع لكلية الآثار والأنثروبولوجيا مثلاً..إلخ، وهكذا نستطيع أن نرصد مئات المتاحف الأنثروبولوجية والإثنوجرافية والفولكلورية المنتشرة على المستوى العربي دون رابط بينها. فأهمية هذا القطاع أنه يحوي نتاج العمل الميداني في كل منطقة ثقافية، ويحتاج إلى إتاحة مادته العلمية بصورة تقنية منظمة. كما أن هذه المتاحف وإن كانت تنتمي معظمها لوزارات الثقافة العربية، فإن هناك العديد منها ما ينتمي للمؤسسات الأهلية فضلاً عن المجموعات الخاصة الموجودة لدى الأفراد.

إن توثيق التراث الأنثروبولوجي بما يحتوي من مواد ميدانية لمجتمعات البحث، فضلاً عن الببليوجرافيات، وأعلام التخصص، والمؤسسات الأنثروبولوجية من مراكز أبحاث ومؤسسات تعليمية ومتاحف وغيرها.. هو مشروع جدير بالتنفيذ في المرحلة الراهنة حتى نسهم في حركة البحث الأنثروبولوجي العربي المعاصر، كما سيسهم المشروع حتمًا بالدفع لحركة الفولكلور العربي المعاصر أيضًا.

المراجع والهوامش:

[1] أنظر الببليوجرافيات التالية

[2] أحمد زايد، محمد الجوهري. الإنتاج العربى فى علم الاجتماع: قائمة ببليوجرافية مشروحة.- مج1: 1924 – 1995، مج2: 1995-2000.- القاهرة: مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، 2001.- 2مج

- محمد الجوهري، ابراهيم عبد الحافظ، مصطفى جاد. الإنتاج الفكري العربي في علم الفولكلور.-ط2.- القاهرة : مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، 2005
- محمد الجوهري، ابراهيم عبد الحافظ، مصطفى جاد. الفولكلور العربي: بحوث ودراسات.- القاهرة : مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، 2005

[3] أحمد زايد، محمد الجوهري. الإنتاج العربى فى علم الاجتماع: قائمة ببليوجرافية مشروحة، مرجع سابق.

[4] http://www.proquest.com/libraries/academic/databases/ibss-set-c.html

[5] http://arid.my/about_en.aspx

[6] راجع حشمت قاسم . مدخل لدراسة التكشيف والاستخلاص . – القاهرة : دار غريب ، 2000 ، صـ 55-56

[7] محمود أحمد إتيم (إشراف) . الدليل العملى للتحليل الموضوعى والتكشيف . – تونس : مركز التوثيق والمعلومات، جامعة الدول العربية ، 1987 . – 223ص .– (سلسلة الأدلة العملية ؛2)، ص30 .

[8] محمد فتحى عبد الهادى. مكنز مصطلحات علم المكتبات والمعلومات. – القاهرة : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ؛ إدارة التوثيق والمعلومات، 1980، ص: هـ .

[9] محمد فتحى عبد الهادى. المكانز : الأساسيات والاتجاهات الحديثة والإسهامات العربية. – في : أحمد بدر، ومحمد فتحى عبد الهادى، و ناريمان إسماعيل متولى /التكشيف والاستخلاص : دراسات في التحليل الموضوعى. – القاهرة : دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، 2001. – صـ288. وانظر التعريف نفسه أيضاً في : محمد فتحى عبد الهادى. المكانز كأدوات للتكشيف واسترجاع المعلومات. – القاهرة : مكتبة غريب، 1989. – ص 28 .

[10] سميث ، شارلوت سيمور . موسوعة علم الإنسان : المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية/ترجمة مجموعة من أساتذة علم الاجتماع بإشراف محمد الجوهرى .- القاهرة : المجلس الأعلى للثقافة ، المشروع القومى للترجمة ، 1998 .- صـ131

[11] منى الفرنوانى. الصورة الفوتوغرافية فى الدراسات الأنثروبولوجية : دراسة تطبيقية لأدوات وأوانى الطعام فى قرية مصرية . – فى : الأنثروبولوجيا الاجتماعية : قضايا الموضوع والمنهج . – القاهرة : د.ن ، 2003 .- ص335